وجه آخر لغاندي ...
مناضل ضد الصهيونية ومدافع عن الحق الفلسطيني

شذى يحيى*

"الحق والخير والجمال" القيم الإنسانية العليا التي حلم البشر بأن يكونوا عليها منذ أبيهم آدم، وستظل مسعاهم وهدفهم حتى قيام الساعة فالحق خير والحق جمال، الحق هو الأساس والأصل ،لكن أغلب البشر رأوا أن الحق هو رفاههم وحصولهم على ما يريدونه حتى ولو كان على حساب الآخرين. قلة من العظماء على مر التاريخ هم فقط من رأوا أن الحق في الحياة ليس حكراً عليهم وأن الخير والجمال والحق يجب أن يكون لكل البشر وليس حكراً على أصحاب دين أو عرق ؛ موهانداس كارام شاند غاندي كان أحد هؤلاء ولذلك أصبح الماها-آتما (الروح العظيمة) ومازالت كلماته محفورة في ضمير العالم حتى يومنا هذا .

ولذلك أيضاً رفض هذا الرجل العظيم إحتلال العصابات الصهيونية لفلسطين وكتب وأتخذ مواقف على مر حياته ليدعم أخوة له في الإنسانية لم يرى أرضهم يوماً ولم يقابلهم ناضل من أجلهم لأن هذا هو الحق فكان مثالاً لكل ماهو خير وجمال.

"ظلت معارضته للصهيونية متواصلة قوية وصلدة لم يتراجع فيها قيد أنملة على مدى عشرين عاماً ،بالرغم من كل المحاولات المجاهدة والمتواصلة والضغوط القوية التي مورست عليه من كل اللوبيهات والتكتلات الصهيونية وكبار منظريها " جملة كتبها واحد من أهم دعاة الصهيونية جي .إتش .جانسن ليوضح فيها الفشل الذريع الذي منيت به الحركة على مدى عشرين عاماً في إقناع المهاتما غاندي أبو الهند الحديثة بأهداف الحركة أو حتى أن يتعاطف معها أو يتفهم أي جزءٍ من

---

* كاتبة وباحثة من مصر.

أهدافها، وظل غاندي (١٨٦٩م -١٩٤٨م) طوال هذه السنوات محجاً لعشرات المنظرين الصهاينة من أمثال بوبر وجرينبرج وهونيك لمحاولة إقناعه ،كما ارسلت له مئات الرسائل من أصدقاء ومن يهود عاديين وشباب ومستعمرين يلتمسون منه أن يعيد النظر في موقفه هذا وأرسل غاندي عشرات الردود وكتب العديد من المقالات في صحف "كالهند الفتية" و "هاريجان" ليؤكد تمسكه بموقفه المساند للحق العربي والمناهض للصهيونية رغم كل محاولات الإقناع وحملات الهجوم.

لم يدرك منظرو الصهيونية أن حركتهم تمثل كل ما حارب غاندي ضده على مر حياته وأن تحالف هذه الحركة مع الإمبريالية زاد موقفه صلادة تجاهها ،فقد آمن غاندي أن السياسة هي إحدى الطرق الإنسانية لممارسة الدين لكنه رفض أن يكون الدين سبباً لتفضيل بشر على بشر أو بوابة بأي شكل للعنصرية والإستغلال بل رآه وسيلة لتهذيب السلوك البشري وليس مفتاحاً للحروب والنزاعات ،لذلك عندما تفجرت القضية الفلسطينية وظهرت كصراع بين قوميتين العربية واليهودية المدعومة بالمصالح الإمبريالية كان من الطبيعي أن ينحاز غاندي للعرب لأن الفكرة القومية كانت جوهر ما آمن به وليس الفكرة الدينية، إيمانه الحقيقي كان بفكرة أن قوة الحق التي تعلمها من مكاتباته مع تولستوي وقراءته لراسكين وأيضاً قراءته للكتب السماوية أقوى من السلاح ، لذلك أرسى مبدأه الشهير في المقاومة السلبية واللاعنف (الأهمسا) والتي جعلت من المحامي المتواضع في مهنته والمغرم بالثياب الثمينة والحياة الرغدة بطلاً زاهداً ومناضلاً شرساً من أجل الحرية في جنوب إفريقيا أولاً ثم في وطنه الهند بعد ذلك من اجل التعايش والحق في حياة أفضل لكل البشر ولهذا لم يكن مستغرباً أن يرفض غاندي فكرة الوطن القومي الديني لليهود في فلسطين بنفس الصلابة التي رفض بها فكرة الوطن القومي للمسلمين في باكستان.

كتب غاندي عشرات المرات رافضاً الوجود الصهيوني في فلسطين وكانت أقوى المرات التي كتب فيها المقال الذي كتبه في صحيفة "هاريجان" بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٨م في ذروة الصراع العربي الصهيوني (مرفق نصه بالكامل في نهاية المقال) وأيضاً في ذروة الضغط المتواصل عليه من قبل الصهاينة والذي استمر منذ العشرينات ،كتب غاندي أن تعاطفه كله مع اليهود الذين تعرضوا إلى معاملة لا إنسانية ومحاكمات مذهبية على مر العصور لكن هذا التعاطف لن يعميه عن الحق وعن أن فكرة الوطن القومي لليهود التي لم ولن تلقى لديه قبولاً وأنه لن يقبل أبداً فكرة الوعد المقدس بالعودة ،فاليهود مثلهم مثل باقي البشر ولهذا عليهم مثل باقي البشر أن يجعلوا من البلاد التي يعيشون فيها أوطانهم فهي الأماكن التي ولدوا فيها وتحدثوا لغتها وأكلوا خبزها ،فلماذا لا يفعلون ذلك ؟!!

وبهذا الرأي هدم غاندي الأساس الجوهري الذي قامت عليه فكرة الصهيونية للمساءلة رافضاً رفضاً كليا فكرة الدولة اليهودية على الأرض الموعودة بل وأعقب ذلك بقوله أن فلسطين التي ذكرت

في الكتاب المقدس ليست نطاقاً جغرافياً بل هي نطاق روحي ،موقف غاندي هذا ظل ثابتاً في كل المحافل منذ وعد بلفور ١٩١٧م وحتى قبل أن يصبح غاندي شخصية دولية مرموقة فقد كان لموقفه جانب أخلاقي منذ البداية فهو لم يتفهم أبداً رغبة اليهود بالتعاون مع حلفائهم الإنجليز المحتلين لفلسطين في أن يفرضوا أنفسهم على الأراضي العربية ولذلك كان دائماً ما يؤكد أن فلسطين تعود للفلسطينيين بقدر ما تعود بريطانيا للإنجليز وفرنسا للفرنسيين وأن أية محاولة لفرض وطن قومي لليهود بالقوة على الأراضي الفلسطينية كلها أو على جزءٍ منها بدعاوى دينية أو حتى إستعمارية هو إهانة للعرب وعار على جبين الإنسانية ،لم يتقبل غاندي أبداً قصة العودة للوطن التوراتي كما لم يتقبل جدليات الفيلسوف بروبانك وكذلك جرينبرج اللذين حاولا إقناعه بأن رفضه هذا معناه أن يحرم فلسطين والفلسطينيين من فرصة اللحاق بركب التحضر والمدنية والحياة الأفضل واللحاق بالعالم المتطور، فقد حاول هؤلاء المفكرون الصهاينة ككل المستعمرين تصوير إحتلال فلسطين على أنه فرصة لأهلها للحاق بالعالم المتمدين لكن الرجل المناضل ضد الإستعمار لم يقتنع بهذا الكلام كما لم يقتنع أيضاً كباحث عن الوحدة والأساس الأخلاقي الذي يجمع البشرمن خلال الأديان بفكر وثقافة تدعو إلى إثبات تفوق عنصر ديني على باقي الأعراق وأن له الحق في أرض ما بسبب هذه الديانة ،هو لم يبتلع أبداً فكرة الحق التاريخي ورآها غير مفهومة ولا مقبولة وعندما كتب له المستوطنون الصهاينة يطلبون دعمه لهم في كفاحهم المزعوم لإستقلال المستوطنات عن الإحتلال البريطاني كان رده أن يتركوا الأرض لأصحابها ويعترفوا بالحق العربي أو أن يحاولوا أن يوجدوا صيغة توافقية مع العرب تضمن الحقوق العربية وبعدها يكافحوا معاً ضد الإستعمار ،ولم يقتصر دعم غاندي للحق الفلسطيني على النقاشات والمكاتبات والمقالات عن ومع الصهاينة ولكنه أيضاً واصل تعبيره عن رأيه الداعم للعرب في المؤتمرات الشعبية لحزب المؤتمر الهندي الذي كان في تلك الفترة يمثل نواة الكفاح ضد الإستعمار البريطاني للهند وأبلغ دليل على ذلك الخطاب الذي ألقاه في مؤتمر عموم الهند الخاص بالحزب في العام١٩٣٧م في كالكوتا وأدان فيه الإرهاب الصهيوني في فلسطين وأعلن رفضه لكل خطط التقسيم التي تحاول الدول الإستعمارية فرضها على الأرض كما عبر عن تضامن الشعب الهندي مع الحق العربي في الحصول على الحرية والإستقلال كذلك في مؤتمر آخر في سبتمبر ١٩٣٨م طالب غاندي العرب واليهود بالجلوس سوياً للوصول إلى حل سلمي للخلاف في الرأي وحث اليهود على أن لا يستقووا بالإمبريالية البريطانية وأن يكفوا عن اللجوء للإرهاب كما حث العرب على أن يكونوا كرماء مع اليهود دون أن يمس هذا بحقوقهم القومية ولا أن يخل بسيادتهم على أراضيهم وقد أصبح هذا الموقف الذي تبناه غاندي أحد الدعائم الأساسية التي تبنتها السياسة الهندية ضد الإستعمار طوال القرن العشرين حتى عندما بدأ الإضطهاد النازي لليهود لم يحرك هذا موقف غاندي قيد أنملة على

العكس كتب أكثر من مقال ووجه أكثر من نداء إلى اليهود لكي يتمسكوا ببلدانهم الأصلية في أوروبا ويلجأوا لسلاح المقاومة السلمية ويقدموا أرواحهم دفاعاً عن حقهم في العيش في البلاد التي ولدوا فيها مما دفع أصدقاءه اليهود من أمثال مارتين بوبر ويهودا ماجنسن وحاييم جرينبرج للهجوم عليه والتعبير عن شعورهم بالإهانة من موقفه حتى أن بوبر أرسل رسالة مفتوحة له على صفحات جريدة هاريجان كتب فيها مهاجماً موقفه من هجرة اليهود لفلسطين واعتبرها وطناً قومياً لهم قائلاً: " كل ما يهم المهاتما هو حقوق الملكية لأحد الأطراف ولا يهمه أن للطرف الآخر الحق في قطعة أرض حرة يتوق إليها"، فكان رد غاندي أن الهرب من العنف الأقوى ومحاولة فرض النفس على الأضعف بنفس منطق العنف ليس هو الحل وإنما المقاومة السلمية والدفاع عن الحقوق هي الحل.

لقد حدد الباحث الأمريكي بول باور أربعة عوامل أساسية من وجهة نظره هي التي حددت موقف غاندي من الحركة الصهيونية أولها أنه كان يدرك جيداً ان عليه مراعاة المسلمين الهنود الذين كانوا معادين للحركة الصهيونية من منطلق أخوتهم مع المسلمين العرب، وهذا السبب كان حقيقياً لحد بعيد فغاندي الذي أدلى للصحف البريطانية في مقابلة أجراها مع جريدة (الدايلي هيرالد) اللندنية في ١٦مارس ١٩٢١م برأي قال فيه "أنه يرى ضرورة بقاء الأراضي المقدسة في الحجاز وفلسطين تحت ولاية الخليفة العثماني كزعيم روحي للمسلمين وأن هذا سوف يكون في مصلحة إستقرار الهند والمسلمين الهنود خاصة مع حفظ كل حقوق اليهود والمسيحيين في أداء شعائرهم الدينية كاملة ولن تستطيع حتى المدافع أن تمنعهم من أداء هذه الشعائر" ، كذلك كان غاندي حليفاً قوياً لحركة الخلافة في الهند في الفترة من (١٩١٩م حتى١٩٢٢م) ومتبيناً لفكرتها في رفض التعاون مع الإحتلال معتبراً إياها نوعاً من اللاعنف والمقاومة السلبية كما ربطته صداقة قوية مع أقطاب الحركة محمد علي وشوكت علي ومولانا أبو الكلام آزاد ،لم يخف يوماً إعتباره لمشاعر المسلمين في هذه القضية المهمة وإن كان هذا ليس مبرره الوحيد لرفض الحركة الصهيونية فما لا يعرفه الكثيرون أن شريك غاندي في مزرعة تولستوي التي أنشأها في جنوب إفريقيا وهي المكان الذي وضع فيه أسس فلسفته في اللاعنف وإحترام الحياة "الأهمسا والساتيا جراها" وهو نفسه الرجل الذي لقبه المهاتما بتوأم روحه والذي أنفق مادياً على المزرعة وتحمل مسؤوليتها كرجل أبيض أمام سلطات الفصل العنصري في جنوب أفريقيا كان المهندس اليهودي الأوكراني هيرمان كالنباخ الذي دافع عن حقوق الهنود والسود في جنوب أفريقيا ولكن عندما طاله الإضطهاد كيهودي إنضم للحركة الصهيونية وأصبح من أشد مؤيديها ومارس كل الضغوط الممكنة محاولاً إقناع غاندي بها وظل على خلاف مع المهاتما حتى توفي في العام١٩٤٥م ودفن رماده في أحد المستعمرات الصهيونية ورغم أن هذا الحدث ترك غصة في قلب غاندي إلا أنه لم يغير من موقفه أبداً.

السبب الثاني أن إستعمال الصهاينة للعنف وتحالفهم مع القوى الإمبريالية القديمة كبريطانيا والجديدة كالولايات المتحدة ولجوءهم للإرهاب كما أسماه هو لإخراج الفلسطينيين من أراضيهم كان يتناقض مع كل ما دعى إليه وآمن به.

أما السبب الثالث وهو الأقوى أنه رأى أن الدعوة الصهيونية القومية هي النقيض تماماً لدعوته لأنها تقوم على قومية لأناس يدينون بدين واحد بينما هو كان يدعو لقومية لأناس ينتمون لمعين حضاري واحد لذلك رأى غاندي الصهيونية حركة عنصرية وليست قومية.

السبب الرابع هو أنه رأى أن ما تفعله السلطات البريطانية في فلسطين بإستعمال اليهود هو نفسه ما تفعله مع الهند بخصوص باكستان منذ البداية أعلن رفضه للتعاون البريطاني الصهيوني لهذا كتب في ٢٣مارس ١٩٢١م في صحيفة (الهند الفتية) مقالاً قال فيه صراحة "أن الوعد الذي منحته إنجلترا للصهاينة في فلسطين ومحاولة تصويره أنه المنقذ الوحيد لهم من الشتات غير مقنع بالنسبة له وأنه لا يستطيع أن يلوم جندياً مسلماً واحداً يذهب للقتال مع أبناء جلدته ضد تسليم أراضيهم لليهود" ، وفي الأربعينات قال صراحة للوفد الصهيوني الذي زاره لإقناعه بعدالة قضية الصهاينة إذهبوا للسيد محمد علي جناح (مؤسس باكستان) هو سيكون أكثر قدرة على تفهم ما تقولونه.

لم تتوقف الوفود الصهيونية عن زيارة غاندي فلاسفة وكتّاباً وأصدقاء ومنظرين وحاخامات وأعضاء في الكونجرس الأميركي ومجلس العموم البريطاني وفوداً رفيعة من المجلس الصهيوني العالمي كل هذا لم يفلح في تغيير رأيه قيد أنملة حتى عندما أعلن كاتب سيرته الذاتية الأميركي لويس فيشر أن المهاتما أخيراً قال أن لليهود حجة جيدة فيما يدعونه فسارع غاندي للنفي في مقاله الأخير عن الصهيونية والمسألة الفلسطينية والذي نشر قبل إغتياله بأشهر بتاريخ ١٤يوليو١٩٤٦م وفيه أكد أن حواره مع السيد لويس فيشر قد فهم بطريقة مغلوطة فهو مؤمن بأن العالم قد عامل اليهود بطريقة سيئة ولكن هذا ليس معناه أنه يؤمن بأن لهم حقوق في فلسطين، وعندما سأله الصحافي دون كامبل من رويترز قبل إغتياله بفترة بسيطة عن الحل الذي يراه للقضية الفلسطينية كان رده الذي استشرف به المستقبل "لقد أصبحت مشكلة تكاد تكون مستعصية على الحل، لو كنت يهودياً لقلت لهم لا تكونوا بهذا القدر من البلاهة وتعتمدوا على الإرهاب كسلاح دائم لكم ... اليهود لابد وأن يقابلوا العرب في نقطة ما ويصنعوا منهم أصدقاء وشركاء ويكفوا عن الإعتماد على المساعدات البريطانية والأميركية لينقذوا ما تبقى من يهوذا".

نص آخر مقال كتبه غاندي بخصوص القضية الفلسطينية ويلخص موقفه من الصهيونية والإحتلال الإسرائيلي:

اليهود وفلسطين

المهاتما غاندي

جريدة هاريجان ١٤يوليو١٩٤٦م

"حتى الآن ابتعدت كلياً عن الادلاء بأي تصريحات علنية فيما يختص بالصراع العربي اليهودي وجاء هذا الامتناع لأسباب وجيهة وليس معنى هذا أنني لا أولي إهتماماً بهذه المسألة ،بل يعني أنني لا أجد نفسي معداً بما فيه الكفاية وليس لدي القدر الكافي من المعرفة الذي يؤهلني للحديث في تلك القضية ،لقد حاولت أيضاً أن أتغاضى عن إبداء وجهة نظري في أحداث عالمية أخرى لكن أربعة أسطر في مقال حفزوني للحديث ،لقد وصلتني رسالة من صديق تلفت نظري إلى جمل مقتطعة خارج سياقها تضمنها المقال الذي ذكرت والصحيح أني قلت فعلاً مثل هذه الأشياء في حديث طويل مع لويس فيشر في الموضوع المشار إليه ،فأنا مؤمن تماماً بأن اليهود ظلموا من العالم وعوملوا بقسوة ومازلت أتأثر حتى الآن من كلمة جيتو الأسم الذي أطلق على أماكن معيشة اليهود في الدول الأوروبية والمعاملة القاسية التي تلقوها والمحاكمات عديمة الرحمة لهم ولكن لم يذكر أبداً سؤال العودة إلى فلسطين ،فالعالم كله يجب ان يكون وطناً لليهود على أقل تقدير لمساهماتهم المتميزة في تقدمه وفي رأيي أن اليهود ارتكبوا خطأ فادحاً عندما سعوا لفرض وجودهم في فلسطين بمعونة أميركا وبريطانيا وباستخدامهم للإرهاب الصريح ،فمواطنتهم وهويتهم العالمية من الممكن أن تجعلهم جماعة مرحباً بها في كل مكان فهم لديهم قدرات على التدبير ومواهب متنوعة وتفوق صناعي مما يجعلهم محل ترحيب في أي بلد ،أما التحامل عليهم فمبني على قراءة متعصبة وخاطئة للعهد الجديد وهي بمثابة وصمة عار في جبين العالم المسيحي أدت إلى خلق كم هائل من التحيز والعنصرية ضدهم ،فإذا أخطأ يهودي سيتم لوم المجتمع اليهودي ككل على خطأه وإن اكتشف يهودي كألبرت أينشتين أو ألف أحدهم مقطوعة موسيقية بديعة ينسب الإنجاز لصاحبه وليس لمجتمعه فلا عجب من تعاطفي مع اليهود في محنتهم البائسة هذه ولكني تصورت أن المحنة ستعلمهم دروس السلام ،لكن لماذا كان عليهم ان يعتمدوا على الأموال الأميركية والأسلحة البريطانية ليفرضوا أنفسهم على أرض لا ترحب بهم؟ ولماذا كان عليهم اللجوء للإرهاب لفرض هبوطهم القسري على فلسطين؟ كان يمكنهم الاعتماد على سلاح لا مثيل له الا وهو سلاح اللاعنف الذي بشر به أنبياؤهم الأوائل وعيسى هذا اليهودي الذي ارتدى تاج الشوك وورث أنات العالم لو فعلوا لأصبحت قضيتهم العالم بأجمعه ، وليس عندي شك أن هذا لو كان قد حدث لكان أفضل وأنصع الأشياء التي أعطاها اليهود للعالم على كثرة ما أعطوه ،وأن بركته المضاعفة كانت ستجعلهم سعداء وأغنياء بالمعنى الحقيقي للكلمة وبلسماً لهذا العالم المليء بالألم" .

بانشاجاني - ١٤يوليو١٩٤٧م

سبقها مقال بعنوان "اليهود" نشرت في صحيفة «حاريجان» الهندية بتاريخ ١٩٣٨/١١/٢٦م ،جاء فيها الآتي :

«تسلمت العديد من الرسائل التي يطلب مني أصحابها كتابة وجهة نظري حول المشكلة العربية اليهودية في فلسطين وحول اضطهاد اليهود في ألمانيا. وليس أمراً غير مقلق المغامرة بتقديم أفكاري حول هذه المشكلة الصعبة. انني أتعاطف مع اليهود. فقد تعرفت إليهم عن قرب في جنوب أفريقيا. وكان بعضهم رفقاء حياتي. وقد استطعت عن طريق هؤلاء الأصدقاء التعرف على اضطهادهم الذي دام قروناً. فقد كانوا منبوذي المسيحية. إن التوازي بين معاملتهم من جانب المسيحيين والمنبوذين الهنود وثيق جداً، فقد استند إلى حُجج دينية كمنبوذين في الحالتين لتبرير المعاملة غير الإنسانية التي أخضعوا لها. لذلك، وإضافة إلى الصداقة، فإن تعاطفي مع اليهود مؤسس على أسباب عامة وجامعة. لكن تعاطفي لن يعميني عن مقتضيات الإنصاف. إن المطالبة بوطن قومي لليهود ليس له أي صدى عندي. إن المبرر ملتمس من التوراة وفي المحاولات الدؤوبة التي طمح من خلالها اليهود للعودة إلى فلسطين.

لماذا لم يجعلوا، كما فعل غيرهم من شعوب الأرض الأخرى، وطنهم القومي في البلد الذي وُلدوا به حيث يرتزقون..؟

إن فلسطين تنتمي للعرب مثلما تنتمي إنكلترا للإنكليز وفرنسا للفرنسيين.. وانه لمن الخطأ وغير الإنساني فرض اليهود على بلاد العرب. إن ما يحدث اليوم في فلسطين لا يمكن تبريره بأي أساس أخلاقي. إن الانتدابات ليس لها أي مبرر ما عدا الخاصة بالحرب الأخيرة. من المؤكد انه ستكون جريمة ضد الإنسانية لو تم إخضاع العرب حتى يمكن تسليم فلسطين لليهود، سواء بشكل جزئي أو كامل، كوطن قومي لهم.

إن السبيل الأكثر نبلاً كان لا بد أن يكون في الإصرار على معاملة عادلة لليهود في المكان الذي وُلدوا وترعرعوا فيه. فاليهود المولودون في فرنسا فرنسيون تماماً مثلما أن المسيحيين المولودين في فرنسا فرنسيون.. فإن لم يكن لليهود وطن سوى في فلسطين، فهل سيقبلون بفكرة إجبارهم على مغادرة دول العالم الأخرى التي استقروا بها..؟ أم أنهم يرغبون في وطن مزدوج يستطيعون البقاء في ظله..؟ إن صيحة الوطن القومي هذه تتخذ كمبرر مقبول لطرد اليهود من المانيا. بالرغم من ان الاضطهاد الالماني لليهود يبدو لا نظير له في التاريخ. فالطُغاة السابقون لم يصل بهم الجنون إلى الدرجة التي تصرف بها هتلر. إن ما يقوم به دافعه ديني لأنه يقوم بطرح دين جديد لقومية متعصبة وحزبية، والتي باسمها يتحول أي فعل لا إنساني إلى إنساني ويستحق الجزاء (...).

لو أنني كنت يهودياً وُلد في المانيا وأكسب قوتي هناك، لأعلنت ان المانيا وطني بنفس الطريقة التي يمكن ان يفعلها أسمى الماني، ولتحديت ذلك بإطلاق رصاصة على نفسي أو حبسي في سجن مظلم. كنت سأرفض طردي أو أن أكون خاضعاً لمعاملة عنصرية. ولفعل هذا، ما انتظرت ان يقوم اليهود الآخرون بالانضمام لي في اعتصامي المدني، وإنما كنت سأثق بأن الآخرين سيكونون مجبرين على حذو حذوي في النهاية.

أجد من الضروري عليّ التأكيد على انه من السهل على اليهود وعلى التشيكوسلوفاكيين، إتباع فرضياتي، ولديهم في حملة الاعتصام الهندية في جنوب أفريقيا مثال رقيق.. فهناك، كان الهنود بالذات يحتلون نفس المكانة التي يحتلها اليهود في المانيا. وكان اضطهادهم مصبوغاً أيضاً بصبغة دينية. وكان الرئيس كروجر يردد القول بأن المسيحيين البيض هم شعب الله المختار وبأن الهنود كائنات أدنى خُلقت لخدمة البيض. وكانت هناك مادة أساسية في دستور ترانسفال تنص على انه لا يجب ان تكون هناك مساواة بين البيض والأجناس الملونة بمن فيهم الآسيويون.

كان الهنود هناك مجبرين على الإقامة في غيتو. وكانت المظالم الأخرى هي ذاتها تقريباً التي يعانيها اليهود في المانيا، فلجأ الهنود، وهم مجموعة صغيرة، إلى الاعتصام من دون أي مساندة من العالم الخارجي أو الحكومة الهندية. وقد حاول المسؤولون الإنكليز، بالطبع، إقناع المعتصمين بالعدول عن قرارهم. وبعد ثماني سنوات من الكفاح، استطاع الرأي العام العالمي والحكومة الهندية مساعدتهم وتم ذلك أيضاً عبر وسائل الضغط الدبلوماسية وليس التهديد بالحرب.

لكن يهود المانيا بإمكانهم عرض اعتصامهم تحت رعاية أفضل تماماً من هنود جنوب أفريقيا، لأن اليهود يمثلون جالية كبيرة ومتجانسة.. فهم أكثر عدداً بكثير من هنود جنوب أفريقيا، إضافة إلى هذا هم يتمتعون بالرأي العام العالمي الذي يشد أزرهم.. انني على يقين بأنه لو ظهر من بينهم رجل يتمتع بالشجاعة والبصيرة ليرشدهم إلى تحرك بلا عنف، فإن شتاء يأسهم يمكن أن يتحول إلى طيف من الأمل في طرفة عين. ومن صار اليوم فريسة ذليلة لقناص يمكن ان يتحول إلى رباطة جأش وعزم بفضل رجال ونساء عزل يمتلكون قوة التحمّل التي نادى بها يهوه (الله). ولكان هناك، حينئذ، صمود ديني حقيقي يقف في مواجهة ثورة بلا رحمة لرجل مُجرد من الصفات الإنسانية. ولحصل يهود المانيا على نصر حاسم على الالمان الآخرين، بمعنى أنهم قدموا لهؤلاء مثالاً للكرامة الإنسانية. وهكذا يقدمون خدمة لمواطنيهم الالمان ويثبتون أحقيتهم بأن، يكونوا هم الالمان الحقيقيون عن هؤلاء الذين يقومون اليوم بتدنيس اسم المانيا من دون أن يدروا. والآن، كلمة إلى اليهود الموجودين في فلسطين: ليس لدي أدنى شك في أنكم تسلكون طريقاً خاطئاً، ففلسطين بالمفهوم الذي جاء بالتوراة ليست مكاناً جغرافياً، إنها في قلوبكم... ولكن إذا كانوا يريدون اعتبار فلسطين

الجغرافية وطناً قومياً لهم، فإن من الخطأ دخولها في ظل البنادق الإنكليزية أو القنابل... إنهم يستطيعون العودة إلى فلسطين برعاية العرب فقط. عليهم محاولة تحويل مشاعر العرب. إن الذي يحكم قلب العرب هو ذاته الذي يحكم قلب اليهود. إنهم يستطيعون الاعتصام في مواجهة العرب وان يقدموا أنفسهم للإعدام أو بإلقاء أنفسهم في البحر الميت من دون رفع الخنصر ضدهم، عندئذ، سيجدون الرأي العام العالمي إلى جانبهم وفي صف آمالهم الدينية.

هناك مئات السُبل لاستخدام المنطق مع العرب إذا استبعدوا مساندة الأسلحة الإنكليزية. وهم، بما يقومون به الآن، يتقاسمون الإنكليز عملية سلب شعب لم يلحق بهم أي ضرر.

إنني لا أدافع عن تجاوزات العرب. كنت آملاً أن يختاروا طريق اللاعنف من أجل ما يعتبرونه بحق اغتصاباً غير عادل لبلادهم. ولكن وحسب القواعد المنصوص عليها، لا شيء يمكن أن يقال عن المقاومة العربية في مواجهة تفوق ساحق. فلنعط الفرصة لليهود الذين يرغبون في أن يكونوا الجنس المُختار ليبرهنوا على أحقية لقبهم هذا باختيار طريق اللاعنف في المطالبة بموقع لهم على الأرض. إن أي بلد هو وطنهم بما في ذلك فلسطين، ليس بالعدوان وإنما بالمحبة».

المراجع

١- شذى يحيى – غاندي والصراع العربي الصهيوني – مجلة المجلة –عدد أكتوبر٢٠١٥م.

٢- شذى يحيى – رسائل غاندي وتولستوي "حلم بالعدل والمساواة" – مجلة الهلال – عدد فبراير٢٠١٦م.

3-Kathryn Tidrick –Gandhi apolitical and spiritual life – I. B. Tauris and Co. 2006

4-Margret Chatterjee – Gandhi and his Jewish friends –Palgrave Macmillan 1992

5-Simone Panter-Brick – Gandhi and the middle east: Jews, Arabs and imperial interests – Ib Tauris 2015